التوظيف التداولي لأساليب الحوار في تحقيق الأمن الفكري، نمط الحوار العاطفي في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أنموذجا

دكتور/ حمد بن عبد الله بن حمد السيف
أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية
جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مدخل:

يعد الأمن الفكري ركيزة أساسية للاستقرار الاجتماعي، ودحض الفكر المتطـرف الذي يستهدف تدمير السلم الاجتماعي، وبث الرعب والدمار في المجتمعات.

ولقد تناول كثيرون مفهوم " الأمن الفكري "،باعتباره مفهوما حديثا لم يعرف قـديما في ثقافتنا الإسلامية بلفظها، وإن كان للشريعة الإسلامية رؤيتها في حفظ الدين والعقل.

تهدف هذه الورقة ــ فيما تهدف ــ إلى لفت النظر إلى أهمية التوظيف الحـواري العاطفي لتحقيق الأمن الفكري، مستندة إلى نتائج دراسـات حديثـة، انتهـت إلـى أن استراتيجية الحوار في مواجهة المتلوثين بالفكر المتطرف، يجب تفعيلها وتوظيفها فـي أكثر من مرحلة من مراحل بناء الأمن الفكري عند الشباب[1].

وقد جاءت محاور الورقة وفق التقسيم الآتي:

- **مدخل:**
- **الحوار في القرآن الكريم :**
- **وظيفة الحجاج القرآني:**
- **مفهوم التداولية :**

(1) توصلت بعض الدراسات الحديثة، وأوصت بضرورة العناية المؤكدة بقضية "إرساء قيم الحوار مع الشباب فـي تعظـيم الأمن الفكري والقيم الدينية والوطنية" .تنظر : المفاهيم الأمنية في مناهج العلوم الشرعية بالمرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية. رشيد البكر، مجلة البحوث الامنية، ٢٤ (٢٩)، (٢ ٠١٢ م). ص١٥- ٩.

- **مفهوم الحوار العاطفي:**
- **نماذج منتخبة من الحوار العاطفي في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :**
- **مظاهر من التوظيف التداولي في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:**
- **الخاتمة:**

ـ الحوار في القرآن الكريم :

لا غرو أن نجد القرآن الكريم المنزل من اللطيف الخبير، العليم بخفايا النفوس التي خلق، وأسرار القلوب التي سوّى، يعول كثيرًا على أسلوب الحوار في مخاطبة المتجبرين، واستمالة قلوبهم إلى الحق والهدى المبين، ومن ثَم جاءت أساليب الخطاب الحواري في القرآن الكريم تتسم بغاية الروعة والجلال، ونهاية البلاغة والإحكام، وشدة الأسر، وقوة التأثير، صيغت في قالب قصصي محكم البناء، إذ القصة أسلوب أدبي يتأسس على محتوى يحرك الوجدان، ويثير النفس للتفاعل والتواصل معها، ويتظافر مع شكل فني يعكس روعة البناء الخارجي بهندسته الصوتية، وتصميمه اللفظي، وتصويره البياني[1].

إن تلك المحاورات العديدة التي حفل بها القرآن العظيم، والتي جرت بين أنبياء الله وأقوامهم، لم تقف عند حد مقارعة المعاندين ،وحجاج المتهوكين فحسب، بل جاءت مرات عديدة تستهدف تحريك مشاعر المستكبرين، وتستثير رغباتهم، وتوقظ أحاسيسهم في صور متعددة، وأحداث متنوعة جرت بين أطراف تختلف رؤاها، وتتباين عقائدها، وتفترق مشاربها.

ولأهمية الأسلوب العاطفي في التعامل والتخاطب، شاءت إرادة الله ﷻ العليم بما يرشدهم إلى طريق الحق وسبيل الهدى - أن يزخر القرآن الكريم بهذا الأسلوب الحواري المتعدد في موضوعاته، والمتنوع في أنماطه وأهدافه؛ لما ينطوي عليه ذلك التنوع من آثار عميقة، وتأثيرات بليغة في نفوس المعاندين، إذ إنه من **أنجع الوسائل في إحداث التغيرات الفكرية، والتحولات المنهجية**، وقبول الحق والاقتناع به.

---

(1) يوسف حطيني: ملامح السرد القرآني دراسة في أنماط القص والتلقي والشخصيات والبيئة القصصية:ص١٢٠ . ط. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠٩م .

ـ وظيفة الحجاج القرآني:

الحِجاج في القرآن الكريم خطاب تغييري متكامل لا تقتصر وظيفته على الإبلاغ والتأثير، وإنما هو منهج المسلم في حياته وتعاملاته مع الآخرين أراد الله أن يجعل منه طريقةً لإحداث التواصل والتحاور بين البشر، لذلك جعله في صيغته اللّغوية خطابًا مقنعا ومؤثرا من حيث هو معان متلقّاة في لغة يفهمها البشر هي اللُّغة العربية، وبمعنى آخر يصبح المخاطَب ــ بالمفهوم التداولي ــ جزءا من دلالة الخطاب؛ لأن الخطاب موجه إليه، ويجب عليه أن يتمثله منهج حياة شاملة عقيدة وعبادة وسلوكا. وكذلك فإن القرآن يقدّم الحجج بمستويات مختلفة تناسب طبقات المتلقين من مؤمنين ومشركين منكرين للنبوّة والمعاد. . إلخ[1].

وحين يفرد الباحث هذه الدراسة بتناول أحد الأنماط الحوارية في حوارات الرسل عليه السلام، فذلك لأن الخطاب القرآني في تلك المحاورات واسع المدى يعتمد على تنويع الأساليب، وتلوين الوسائل للسيطرة على النفوس المتباينة في طبائعها، المختلفة في تكوينها النفسي والثقافي والاجتماعي. . ،فهذا الاتساع والتنوع في الخطاب الحواري يحتاج إلى توسع في التناول لا يناسبه المقام، فلذلك ستقتصر هذه المقاربة على النمط العاطفي في تلك الحوارات القرآنية.

والحقيقة أن النص القرآني قد أتى في أساس تكوينه يخاطب الإدراك البشري بكل قواه وطاقاته. يخاطب العقل المفكر، والبداهة الناطقة، ويخاطب الوجدان المنفعل، كما يخاطب الفطرة المستكنة. يخاطب الكيان البشري كله، والإدراك البشري بكل جوانبه. ولذلك أكّد القرآن في أكثر من موضع حرية الاختيار، كما أكد على دور الحجة في الإقناع وبطرق مختلفة، أي بحسب قدرات الناس العقلية والعاطفية، فمنهم من يقنع بالفكرة عن طريق تحريك العاطفة وإيقاظ الشعور فيهتدي إلى المعرفة وإلى الحكم عن طريق تأمّل باطني في الحجج، ومنهم من لا يذعن لغير البرهان المباشر ويستخدم الاستدلال المنطقي كالقياس والتّمثيل، ومنهم من يقنع بالموعظة الحسنة التي تدخل القلب برفق، وتتعامل مع المشاعر بلطف. .

---

(1) ينظر : خلود العموش: الخطاب القرآني: دراسة في العلاقة بين النص والسياق: ص ٢٦. ط. عالم الكتب. الأولى. ١٤٢٦هـ.

وحين يقال: " إن في القرآن الكريم من الأدلة والمناهج ما يقنع الناس جميعا على اختلاف أصنافهم، وتباين أفهامهم، وتفاوت مداركهم. .، فلأن هذا القرآن العظيم يخضع لقانون إلهي عجيب لا اختلاف فيه ولا تقصير، ولا نقص فيه ولا تغيير. . "[١].

ـ مفهوم التداولية :

تعد التداولية الحوارية من أهم مستويات تجليّ البُعد التداوليّ للخطاب الحجاجيّ بشقيه : الإقناعي، والتأثيري، وهي تمثل العلاقة التخاطبيَّة بين المخاطِب والمخاطَب، وتعنى بدراسة الشروط القبلية للتواصل.

ولعل أفضل تعريف للتداولية يتناسب مع موضوع الورقة، ما قدمه الدكتور. مسعود صحراوي، حيث قال: " مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمليه، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها "الخطاب"، والبحث عن العوامل التي تجعل من "الخطاب " رسالة تواصلية "واضحة" و"ناجحة".[٢]

إن اختيار مقاربة النمط العاطفي، يتكئ على لوحات حوارية جاءت تركز على المخاطَب بوصفه مكونا رئيسا في بناء الخطاب، إذ التداولية بصفة عامة هي المعرفة الشاملة بالآخر، والمعرفة العميقة بمكونات عملية التخاطب.[٣].

إن مشاهد الحوار في قصص الأنبياء، تجسد صورا متنوعة من احتواء المخاطب، والاحتفاء بكل ما يوصل الرسالة الحوارية كاملة واضحة غير مشوشة أو مختزلة.

---

(١) ينظر : بن عيسى باطاهر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم ص٥١ط. دار الضياء. الأردن. عمان. الأولى. ١٤٢٧هـ

(٢) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص٥. ط. دار الطليعة. بيروت. الأولى. ٢٠٠٥م

وينظر :فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ترجمة: عبد القادر قنيني. ص٢٥٧. ط. أفريقيا الشرق. المغرب. ٢٠٠٠م. و: صابر الحباشة : الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني :ص ٤٥ .ط. الدار المتوسطية للنشر .تونس.١٤٣١هـ. و: عبدالسلام المسدي :مباحث تأسيسية في اللسانيات :ص ١٨٧. ط.الكتاب الجديد .الأولى . بيروت. ٢٠١٠م.

(٣) ينظر: جورج يول، التداولية:ص١٩ ــ٢٠،ترجمة قصي العتابي ،ط، دار الأمان، المغرب ،الرباط،الأولى،٢٠١٠م، و:عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. ص١٨. ط. أفريقيا الشرق. المغرب. الدار البيضاء. ٢٠٠٦م. ومقال الأستاذ: رخرور أحمد. : التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر. موقع: منتديات مكتبتنا العربية.

وفي هذا الصدد نلاحظ أن (بيرلمان) يلح على أهمية انسجام الخطاب مع المخاطبين، ويشترط على المرسِل ضرورة الوعي بمستوياتهم وبتنوعهم، وظروفهم النفسية، وطبقاتهم الاجتماعية والسياسية[1].

ولا يخفى أن طبيعة التواصل والتأثير قد تستدعي في المقام الواحد استعمال أكثر من نمط من أنماط الحوار، ومن ثم لا نستغرب وجود التمازج بين أكثر من نوع من أنواع التحاور في المشهد الواحد من مشاهد الحوار القرآني.

- مفهوم الحوار العاطفي:

يعد التوجه إلى العاطفة مؤازرًا للعقل في أساليب الإقناع والتأثير في القرآن الكريم، فإذا كان العقل لا يسهل قياده في بعض الأحيان مهما وضحت الحجة وعلت في صحتها وقطعيتها، فإن العاطفة تكون حينئذ عونًا على استمالة الطرف الآخر واجتذابه؛ ذلك لأن الإنسان **له قوتان:** قوة تفكير تحتاج إلى إقناع عقلي، وقوة وجدان تحتاج إلى إقناع عاطفي.

والكلام البليغ هو الذي يكافئ في الإنسان هاتين القوتين: التفكير والوجدان، ويؤتي النفس الإنساني حظها من الفائدة العقلية، والمتعة الوجدانية معا[2].

والحوار في القرآن الكريم مثلما خاطب قوة العقل والإدراك، توجه إلى المشاعر وأيقظها وساق إليها الإقناع المناسب لطبيعتها.

إن الضمير الحي، والحس الوجداني المرهف هو الطريق إلى التأثير والتفاعل والترابط البشري السليم، وهو القاعدة النفسية التي تشاد عليها أسس العلاقات والروابط الإنسانية.

ولا يغيب عن الذهن أن المقصد من الحوار ليس تبكيت الخصم وإلجامه وإحراجه، وإظهار الأستاذية والتفوق عليه، وتسفيه رأيه أمام الآخرين، وإنما المقصود هدايته إلى الحق وجذبه إليه، ولهذا كان الرسل والأنبياء يظهرون شفقتهم على قومهم والحرص على ما فيه خير لهم، وهذا ما يظهر في دعوتهم لقومهم .

---

(١) ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ص١١٧ . ط. دار الكتاب الجديد. بيروت. الأولى ــ ٢٠٠٨م.

(٢) د. عدنان زرزور. علوم القرآن: ص٢٦١ط. المكتب الإسلامي. بيروت. الأولى. ١٤٠١هـ

العاطفة هي الجانب الوجداني في الإنسان، وهي القوة التي تسجل شعورها وإحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، وحب وبغض. .[1]

والحوار العاطفي يعرفه الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي بقوله: "هو خطاب أو استفهام يعتمد على إثارة عواطف إنسانية، أو انفعالات وجدانية، تترك أثرا فعّالا في الانقياد للسلوك الطيب والعمل الصالح، كالخوف والأمل، والرغبة والرهبة "[2].

ـ نماذج منتخبة من الحوار العاطفي في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

ــ أول مشهد من مشاهد الحوار في قصة نوح عليه السلام،جاء في سورة الأعراف في قوله تعالى:

﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ أَوَعَجِبۡتُمۡ أَن جَآءَكُمۡ ذِكۡرٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنكُمۡ لِيُنذِرَكُمۡ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٦٣ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمًا عَمِينَ ٦٤﴾[الأعراف:٥٩ــــ٦٤].

مشهد حواري تتجسد فيها صورة تآزر العقل والعاطفة على إحداث التغيير، فنرى محاولته استثارة مكامن نفوس قومه، واستثمار مشاعرهم، وتحريك عقولهم ،بدءًا من ذلك النداء المفعم بالنصح والعطف والشفقة:﴿ يَا قَوۡمِ﴾،ثم يعقبه مباشرة بتحريك خوف الأخ على إخوانه،:﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾،ورغم استفزاز قومه له، وبأسلوب وقح لا يكتفي بمجرد اتهام عابر، وإنما بتعبير ظالم متجنٍ مُحمل بأسلوب التأكيد المضاعف ،والوصف الجازم بالضلال المبين:﴿ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾رغم ذلك كله يظل نوحا عليه السلام،مستصحبًا ضغط الظرف المهيمن على أجواء الحوار،والكيد الذي يديره عتاة قومه، فيستمر مسيطرا على انفعالاته وعواطفه البشرية، فيتجه بالخطاب إلى ساحة العقل والتفكر :﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾. لقد انتقل بهم إلى حقيقة الواقع، وطبيعة الأمر الذي جاءهم به، وتغافل عما حمله خطابهم من استفزاز واتهام.ثم يرجع بهم مرة أخرى ليكرر معهم إثارة مشاعرهم

(١) ينظر : د. التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن. ص٤٦٠ . ط. الشركة التونسية للتوزيع. ١٩٧١م.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها. ص٢١٤. "دار الفكر. بيروت. الثانية. ١٤٠٣هـ

الوجدانية﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾،إنه أسلوب الناصح العالم بأبعاد خفية لا يدركها المخاطبون، ولا يتصورون حجم مكاسبهم التي ستتحقق لو استجابوا لنصحه وتحذيره:﴿ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾.يكشف أثناء حواره لهم غاية الوصول التي يستهدفها من رسالة الخطاب الموجه لهم، يحفزهم ويستثير رغباتهم؛ ليظفروا في النهاية برحمة الله.. ولا شيء وراء ذلك لنوح، ولا مصلحة، ولا هدف، إلا هذا الهدف السامي النبيل.

ومن بعد قصة نوح عليه السلام تسير بقية حوارات الأنبياء في هذه السورة الكريمة وفق هذا النسق، موظفة المشاعر العاطفية، مستحضرة كيد الملأ، ومكر الخصوم، في تشويش خطابهم، ورسائل حواراتهم. حوارت بقية الأنبياء الكرام في هذه السورة الكريمة ،وفي سورة هود: (نوح، هود، وصالح، وشعيب)، كلها تستفتح مطالعها بذلك الأسلوب المترفق المشفق، فتبدأ بكلمة ﴿ **يَا قَوْمِ** ﴾،إشهارا للحب والنصح،وإعلانا لروح الانتماء والاندماج.

وفي السورة الثانية سورة هود، يستمر نوح عليه السلام في توظيف خطاب عاطفي يستحضر وضعية المخاطبين الذين" عُميت" عليهم ــ هكذا بصيغة المجهول تلطفا معهم، ورفقا بهم، ومراعاة لحالهم ــ الطريق إلى الله ﷻ،فلم يستبينوا رحمة الله ونوره الذي جاء به رسولهم من عند ربهم ﷻ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.[هود:٢٨ــــ٢٩].

حوار يتكرر فيه نداءه العاطفي كلمة ﴿**يَا قَوْمِ**﴾،وتتكرر فيه سمة الترفق بالمخاطب، ومراعاة أحواله.

وفي سورة أخرى مستقلة تكاد كل آياتها ترسم لوحة متكاملة من تداولية الحوار العاطفي، إنها سورة " نوح"، فمنذ مطلعها، يكشف السياق عن توظيف مدهش من سيدنا نوح عليه السلام لمنظومة من الأساليب والإغراءات الوجدانية المتنوعة في مجالها وقربها وبعدها، واستراتيجيات الخطاب: وقته ومكانه، ونداءاته، وتحذيراته، وصور استقبالاته..:﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن

ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىٰٓ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۚ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾.[نوح:١ـــ١٢].

وهكذا يستمر هذا النسق الحواري المتنوع بتلويناته المغرية أحيانا، المفزعة أحيانا أخرى حتى نهاية السورة الكريمة.

ـــ وفي مشهد حواري ثان، ومع نبي الله هود عليه السلام، تقف هذه الورقة عند عرض الآيات الكريمات:﴿۞وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾[الأعراف:٦٥ـــ٦٩].

يتكشف للقارئ مرة أخرى في هذا المشهد، تكرار التوظيف الوجداني السابق في حوار نبي الله نوح عليه السلام، لقومه، وكذلك فعل نبيّ الله صالح وشعيب مع أقوامهما في هذه السورة وسورة هود، وبأسلوب يكاد القارئ يظن أنه يتطابق، مما يؤكد عناية الحوار القرآني بهذا النمط الوجداني لاسيما في بدايات الحوار.

ومن صور التوظيف التداولي الذي يستهدف احتواء الطرف الآخر في تلك الحوارات في السورة نفسها، تحريك المشاعر بحب الرب المنعم عليهم بنعمه وآلائه التي لا يمكنهم إنكارها.

وإذا كان نبي الله هود عليه السلام،حرك هنا مشاعر قومه بتعداد نعمة الله عليهم بالخلافة والسيادة، وقوة الأجسام وكمالها، فإن مشهد حواره لهم في سورة الشعراء، يكشف عن مزيد من التذكير بالنعم، وتحريك نفوسهم لمقابلتها بالإيمان بالله ﷻ،وتحذيرهم من الكفر بها ونكران فضل منعمها: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾

أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾. [الشعراء:١٣١ــ١٣٥].

ــ ومن الشخصيات القرآنية التي يتجلى فيها خطابها، الحوار العاطفي بشكل متدفق، وصور مؤثرة، **سيدنا الخليل إبراهيم** عليه السلام،فلذلك ستتوقف الدراسة عند بعض لوحات الحوار في حياة هذه الشخصية الفذة:

ــ **مشهد حواره لأبيه المشرك** في قول الله تعالى:

﴿ L K J I HG F E D C BA@ ? > = < ; : 9 8 7
` _ ^] \ [Z Y XW V U T SR Q P O N M
r q p o n m l k j i h g f e d c b a
لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِيٓ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا
¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥
Ì Ë Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º
Ý Ü Û Ú Ù Ø × ÖÕ Ô Ó Ò Ñ Ð Ï Î Í ﴾[مريم ٤١:ــ٥٠].

فهذا المشهد يجسد كيف مارس الخليل عليه السلام الحوار العاطفي بمهارة عالية واقتدار؟ وكيف وظّفه لصالح القضية التي يؤمن بها؟ وكيف نجح في كل ذلك. .

ــ ومن نماذج الحوار العاطفي في قصة إبراهيم عليه السلام**حوار الوالد الشفيق، والأب الرؤوف،** مع ابنه البر الوحيد، عندما عرض عليه أمر الله له بذبحه**.** كما في قول الله تعالى:

﴿ Ø × Ö Õ Ô Ó Ò Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ê É È Ç
% $ # " ! ç æ åä ãâ á ß Þ Ý Ü Û Ù ﴾
[الصافات :١٠١ــ١٠٣].إلى آخر آيات المشهد.

إنه حوار تمتزج فيه مشاعر الاستبشار والحب الفياض للابن الوحيد الذي أتى بعد سنوات طويلة من الابتهال والانتظار، فلما جاء ملأ عليه الوجود عطفا وحنانا، وأملا وإشراقا. . مشاعر اصطدمت مع رغبة الخضوع والتسليم لأمر الله رب العالمين.

ــ في مشهد **حوار إبراهيم** عليه السلام **لقومه حول عبادة الكواكب**. .،ورغم أن الموقف يفرض سيطرة الناحية العقلية والمنطقية، إلا أننا أنه حوار ينطوي على مراعاة دقيقة

للجوانب الذاتية والعاطفية عند المخاطبين، والأوضاع التي تتحكم في مجريات حياتهم بتقاليدها وأعرافها وموروثاتها .

ـ ومن صور الحوار العاطفي النادرة في خطاب إبراهيم عليه السلام **لجوء الطرف الآخر إلى توظيف العاطفة في تمرير فكره المنحرف، من خلال الضغط ومحاولة التأثير بأساليب التخويف والتهديد**. . كما يظهر للقارئ في هذا المشهد الحواري :

﴿ ¤ ¥ § ¨ © ª « ¬ ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹
¼ ½ ¾ ¿ Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê
Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Õ Ô Ö × Ù Ú Û Ü !
" # $ % & ' ( ) * + , ﴾[الأنعام:٨٠ـ ٨٢].

يشعر المتلقي - وهو يسمع أو يقرأ هذه الآيات - أن المشركين قد دخلوا مع إبراهيم عليه السلام في حوار عاطفي صريح يعتمد أسلوب التهديد والترهيب بالقوة الخفية التي تملكها أصنامهم، فأرادوا منه أن يكفّ عن أسلوب التحدي للأصنام بحجة الخوف عليه من انتقام هؤلاء الآلهة التي يعتقدون بقدرتها على الإساءة لمن يتحداها أو يسيء إليها.

ولكن لننظر **كيف تعامل** إبراهيم عليه السلام مع هذه **المواجهة العاطفية** التي جاءت بعد فشلهم في ميدان الفكر والعقل، وكيف تم توظيف المعرفة الدقيقة بطبيعة الآلهة ومشاعر عبادها، لصالح قضية الحوار.

لقد أمسك إبراهيم عليه السلام بالمدخل الوجداني ، فَقَلَبَه عليهم بطريقة أذكى وهجمة أقوى. . فوبّخهم أولاً وأنكر عليهم أن يجعلوا قضية توحيد الله والإيمان به مجالاً للحوار؛ لأنها قضية أساسية يحس بها الإنسان بفطرته، لا يتطرق إليها شك ليدخل في حوار حولها: ﴿ ¨ © ª « ¬ ...﴾ .

ثم بدأ معهم حكاية **الأمن والخوف**. . فهو يعلن في البداية أنه لا يخاف شركاءهم مهما كانت قوتهم؛ لأن الله خالق كل شيء، وله القوة جميعا.

ثم يوازن بين خوفه من الشركاء الذين يخوّفونه بهم، وبين خوفهم من الله الذي يريد أن يثيره في نفوسهم، من خلال إشراكهم ما لم ينزل به سلطانا، وينتهي إلى النتيجة الحاسمة - بعد أن أثار أمامهم استفهاما إنكاريا فيمن هو أحق بالأمن - تلك النتيجة هي أن بإمكان الإنسان أن يحمي نفسه من الأصنام بقوته المستمدة من قوة الله. . لكن كيف يحمي المشركون أنفسهم من عذاب الله وسطوته.

ولهذا كان نصيب المؤمنين الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، الشعور بالأمن التام، والاهتداء الكامل إلى الحقيقة(١).

والواقع أن المتأمل في نصوص الحوار في مسيرة موكب الأنبياء الكرام في القرآن الكريم، تدهشه كثافة صور توظيف العاطفة في إحداث التغيير والاقتناع.

ولقد كان الأنبياء أشدّ حرصا على احتواء كل حالة نفسية تصدر من أقوامهم، ولهذا كان يغلب على أسلوبهم في الخطاب الجانب التأثيري الذي يجمع بين اللين والشدة، موعظة وتذكيراً، فهذا الأسلوب كفيل باحتواء كل حالة نفسية شاذة أو معقدة.

ـ مظاهر من التوظيف التداولي في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

تميز الحوار في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام - إلى جانب عنايته بالأدلة العقلية، والبراهين المنطقية - بمخاطبة المشاعر، وإثارة الوجدان؛ ذلك لأنه خطاب يستحضر الآخر ومقامه، وبيئته، والعوامل المؤثرة في تكوينه ونشأته. . ولعل من أبرز السمات التداولية في تلك الحوارات العاطفية، المظاهر التالية:

١ــ كشفت مشاهد الحوار في قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، عن **دقة التوظيف، وحسن الاستثمار** للجانب العاطفي في **خدمة الأدلة العقلية** التي تتبني عليها قضية الحوار.

أ ــ فمثلا عندما حاور الخليل عليه السلام أباه المشرك في المشهد الحواري في سورة مريم حواراً عقلياً واضحاً ، نجده عليه السلام أظهر قدرة فائقة على توظيف العاطفة في خدمة هدف الحوار، وذلك من خلال عدة جوانب، لعل من أبرزها:

ــ البدء بذلك النداء المفعم المثير لمشاعر الأبوة، حيث تلطف في مخاطبته، وأتى باللفظ الحاني، والعبارة الرقيقة، وتوسل بها ليستدر حنانه الفطري، وعطفه الأبوي﴿A O N M L K J I HG F E D C B﴾[مريم:٤٢].

لقد اختار أن يبتدئ حواره بهذا النداء المشفق " **يا أبت** " الذي هو ألطف نداء وأرقه وأحبه إلى كل أب، فكيف حين يسمع ثمرة فؤاده يناديه بمثل هذه الكلمة الرقيقة.

ولا ريب أن صياغة هذا المدخل الوجداني المؤثر، قبل عرض قضية الحوار، رغم أهليتها للإقناع بما تحمل من صدق المصدر، وقوة المنطق، يوحي بوعي الشخصية

(١) ينظر: محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن: قواعده. أساليبه. معطياته. ص٢٥٠، ط. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. الثالثة. ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

بالموقف الكلامي، وإدراكها أهمية البدء قبل كل شيء **بتحريك المشاعر** ،وتسخين الوجدان في المخاطب.

ــ وليس ذلك فحسب بل نجد إبراهيم عليه السلام **يلح على استحضار عاطفة الأبوة،** ويعيد إثارتها أكثر من مرة، استجلاباً لرقة أبيه ورحمته، وأملاً في استدرار عطفه وحنانه. وكأن علاقة الأبوة والبنوة – في تقديره – ستسهم في تحريك مشاعر الرجل ومن ثم تحريك عقله.

لقد اتخذ إبراهيم عليه السلام من عاطفته طريقاً لرسالته، وسُلَّماً في دعوة أبيه وإنقاذه من عبادة الشيطان وغضب الرحمن؛ وبهذا تحول الموقف الرسالي إلى موقف شفقة وإنقاذ.

ب ــ وفي مقابل ذلك تظهر عاطفة الأبوة المشفقة من الأب المؤمن" نوح" عليه السلام على الابن المعاند الذي رفض كل محاولات والده، واختار الضلالة وحزبها، لكن الأب الشفوق ظل يكرر دعوته وحواره لابنه، فلم ييأس بعد.

وفي لحظة رهيبة حاسمة يبصر نوح، فإذا ابنه في معزل عنه وليس معه، ولم يركب السفينة، فاستيقظت في كيانه الأبوة الملهوفة، وراح يهتف بالولد الشارد:﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾[هود:٤٢ــ٤٣].

لقد كانت الكلمة الأولى التي سمعها الابن في هذا الحوار الخاطف من والده المفجوع: " **يَا بُنَيَّ** "إنه النداء الأبوي المشفق المشبع حبا ورقة وحنانا. ولكن البنوة العاقة لا تحفل بالأبوة الملهوفة، والفتوة المغرورة لا تقدر و لا تعي مدى الهول الشامل: ﴿قال: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾. لكن الأب المحاور المدرك لحقيقة الهول وحقيقة الأمر، وخطورة الموقف، يرسل النداء الأخير:﴿قالَ: لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾. لا جبال ولا مخابئ ولا حامٍ ولا واقٍ. إلا من رحم الله ﷻ،فهذا البعد التداولي اليقيني الراسخ عند الأب، هو ما يفتقده المحاور الابن.

جـ - وفي موقف آخر مغاير للموقف السابق، تتبدى فيه صورة رائعة من توظيف العاطفة الأبوية لخدمة أهداف الحوار.. وذلك حينما عرض سيدنا الخليل عليه السلام على ابنه إسماعيل قضية الذبح. لقد افتتح سيدنا الخليل عليه السلام حواره بنفس ذلك النداء المشفق المشبع حبا ورقة وحنانا:

" **يَا بُنَيَّ** " هكذا بأسلوب التصغير المشعر بالتلطف والتودد. ثم بعد ذلك عرض عليه الأمر المبني على أن رؤيا الأنبياء وحي، وقد رأيتُ في المنام أني أذبحك[1].

د ــ وفي الحوار الذي جرى بين سيدنا الخليل عليه السلام وبين القوم المنتكسة عقولهم، نجد أن إبراهيم عليه السلام يُلوّن آليات إيقاظهم بين الحجج العقلية، والتجارب الحية، والأساليب الوجدانية اللاذعة الساخرة.. لعل شيئا من ذلك يحرر عقولهم ويفكها من أسر التبعية والتقليد. فمثلا عندما سألوه: ﴿ I H G F E ﴾[الأنبياء٦٢]. أجابهم بمنطق ذكي ينطوي على التهكم والسخرية بعقول تعبد جمادات لا تدرك شيئا مما حولها فضلا عن أن تدفع عن نفسها أو غيرها: ﴿K L M N O P Q S R ﴾[الأنبياء٦٣]. ويظهر أن إبراهيم عليه السلام قد وُفق في اختيار هذا الأسلوب النفسي الذي أوشك أن يحدث انقلاباً شاملاً: ﴿ U V W X Y Z [﴾[الأنبياء٦٤]. لكنها العقول المنكوسة، والقلوب الغُلف: ﴿[^ _ ` a b c d e ﴾[الأنبياء٦٥].

٢ــ يتميز الحوار العاطفي في خطاب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، **بقوة تأثيره وامتداد سلطانه** إلى أعماق النفس البشرية، وملامسته شغاف القلب، ومكامن الوجدان.

أ – فمن صور تلك القوة الحجاجية التأثيرية، **محاولة الطرف الآخر الهروب من استكمال الحوار**، وشعوره بالعجز عن المسايرة، صورة النهاية التي توقف فيها صوت قوم سيدنا نوح عليه السلام وانقطع حوارهم بعد حوار عاطفي تجسدت فيه مفاهيم الحجاج التداولي، حيث بدأ الرد على تفنيد مزاعمهم بأسلوب وجداني مترفق:﴿**يا قوم**﴾: إنكم تعترضون فتقولون: ﴿ما نَراكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا﴾ .. فما يكون رأيكم إن كنت على اتصال بربي، بيِّنٌ في نفسي مستيقنٌ في شعوري. **وهي خاصية لم توهبوها**. وإن كان الله آتاني رحمة من عنده باختياري للرسالة، أو آتاني من الخصائص ما أستحق به حمل الرسالة- وهذه رحمة ولا شك عظيمة- ما رأيكم إن كانت هذه وتلك فخفيت عليكم خفاء عماية، لأنكم غير متهيئين لإدراكها، وغير مفتوحي البصائر لرؤيتها. ﴿أنلزمكموها﴾؟ .إنه ما كان لي، وما أنا بمستطيع أن ألزمكم الإذعان لها، والإيمان بها﴿وَأَنْتُمْ لَها كارِهُونَ﴾!.

(١) ينظر: البقاعي: نظم الدرر: ٣٢٧/٦. و: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ٧/ ٢٧

وهكذا يتلطف نوح عليه السلام في توجيه أنظارهم، ولمس وجدانهم، وإثارة حساسيتهم؛ لإدراك القيم الخفية عليهم، والخصائص التي يغفلون عنها في أمر الرسالة والاختيار لها: ويُبصّرهم بأن الأمر ليس موكولاً إلى الظواهر السطحية التي يقيسون بها.ثم يكشف لهم عن هذا الجهل الذي يعيشونه،جهل بحقيقة الرسالة، والرسول، والقيم التي ينطلق منها:﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ﴾[هود: ٢٩].تجهلون القيم الحقيقية التي يُقدر بها الناس في عند الله. وتجهلون أن مرد الناس كلهم إلى الله.

إن مراعاة الظرف المؤثر على المخاطبين، واستحضار غيابهم الإدراكي عن أبرز مكونات الرسالة التي يحملها الخطاب، أمر يندرج ضمن أولويات التداولية الحديثة.

ويستمر توظيف المشاعر العاطفية في هذا المشهد الحواري، لكن نبي الله نوح عليه السلام،قدّم نموذجا رائعا في استدرار عواطف المحاوَرين بلا تنازل، ودرسا خالدا في مواجهة أصحاب السلطان بالحق المجرد، دون استرضاء لتصوراتهم، ودون ممالأة لهم، وموافقة لهم على باطلهم.

ومع هذا التميز في إدارة الحوار الذي ظهر به نبي الله نوح عليه السلام، لجأ الملأ من قوم نوح ــ بعد يأسهم من مناهضة الحجة بالحجة، إلى ترك ساحة الحوار والهروب منها، إلى إعلان التحدي:

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[هود: ٣٢].**إنه العجز** يلبس ثوب القدرة، والضعف يرتدي رداء القوة، والخوف من غلبة الحق، يظهر في شكل الاستهانة والتحدي.

لقد كان وصول قوم نوح عليه السلام إلى وضعية المحاور اليائس العاجز، نتيجة من نتائج حوار نافذ إلى القلوب، متدرج متمكن في خلخلة القناعات والمسلمات.

ب ــ ومن صور إخضاع الآخر وتأثره بنتائج توظيف المشاعر الوجدانية أثناء الحوار،ما يعبر عنه هذا الاستفهام الذي ظهر في محاورة سيدنا الخليل عليه السلام قومه العتاة: ﴿ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » ¼﴾[الأنبياء: ٥٥]. لقد هزّ ثقتهم هزاً عنيفاً، كشف عن شدته هذا التساؤل القادم من أعماق الوعي والشعور. إنه سؤال التائه الذي لا يدري حقيقة دينه إلا ما تمليه الأعراف والتقاليد، سؤال المزعزع العقيدة، الذي فقد ثقته بآلهته ومعبوداته فأصبح حائر القلب، مشتت الفكر.

ولنتأمل كيف أوصلنا الحوار الوجداني إلى هذه الوقفة مع الذات ومراجعة الموقف : ﴿ [Z Y X W V U ﴾ . لقد بلغ الأثر فيهم مبلغاً يشي به إعلان العقول الجماعية حالة التوقف والتفكر، بل وصل بهم التأثر إلى حد تجريم بعضهم بعضاً. ونحن ندرك أن الأجواء الجماعية غالباً ما تسيطر عليها حالات الاستكبار والانفعال، والبعد عن التأمل المتجرد، والتفكير الحر.

ج - وفي حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع والده نجد أن براعته في استعطاف أبيه، وجمال منطقه في استدرار عاطفته، قد أثّرت في الأب، وجعلته يستمع إلى ابنه حتى انتهى من حديثه. لقد استطاع إبراهيم عليه السلام أن يثير العاطفة الأبوية، ويحرك المشاعر الانفعالية الكامنة في نفسية الأب، فجلس منصتاً يستمع حديث الابن الشفيق إلى نهايته.

وفي هذا المقام تؤكد الدراسة على أهمية انطلاق حواراتنا الإصلاحية البنائية، من ذات المسلك القرآني الذي يبدأ بتحريك القناعات من خلال الدخول إلى أعماق النفس البشرية، وملامسة مشاعرها، ومراعاة أحاسيسها، وإثارة اهتماماتها.

٣ ــ يتميز **الحوار** العاطفي في مشاهد حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، **بتجسيد المواقف الإنسانية، ، وتصوير المشاعر النفسية في لوحات شاخصة مبصرَة.**

أ – ففي مشهد حوار نبي الله نوح عليه السلام لقومه،في قوله تعالى:﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾[هود: ٢٨].

أسهمت كلمة ﴿**أنلزمكموها**﴾ بتصور جو الإكراه من خلال إدماج كل هذه الضمائر في النطق، وشد بعضها إلى بعض، كما يدمج الكاره مع ما يكرهه، ويشد إليه وهو نافر!،فالكلمة بجرسها وبنائها صورت إحدى زوايا الموقف الوجدانيفي مشهد الحوار.

ب ــ ولنتأمل تلك اللحظة الرهيبة التي تعرض لها إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل، عندما انقاد الاثنان لأمر الله. ولننظر كيف رسمها اللفظ القرآني المصور: ﴿ **!** **"** ﴾[الصافات: ١٠٣]، لقد شخَّص اللفظ منظر الاستسلام المخبت، وأحضر مشهد الخضوع الكامل، وصعّد الموقف، وتركنا في حالة خوف وترقب. . ووجل وإشفاق على هذين المسلمَين أمرهما لله. وكيف ستكون نهايتهما، هل سيتم الذبح. . ؟ أم سيمتنع أحدهما. . ؟ أم ستحدث مفاجأة. . ؟ لكن اللفظ الآخر يقطع حبال هذه الافتراضات التي يستدعيها الخيال في تلك اللحظات، ويجسد حماسة الأب، وجدية الوالد ومبادرته:

﴿ # $ ﴾[الصافات: ١٠٣]، إن لفظ " تلّه " يشعر بقوة الفعل، وحماسة التنفيذ، فلم يتكاسل أو يتباطأ، ليري الله صدق عزمه، وجدية همه.

وهكذا صور الحوار العاطفي خليل الله إبراهيم عليه السلام شخصية خاضعة منقادة لأمر ربها بقلب راضٍ، ونفس مقبلة رغم تصادم المشاعر، وهول الموقف، وشدة البلاء، وصعوبة التنفيذ. وشخّص كل معاني الخضوع والرضا، والجدية والحماس.

ج - وفي موقف آخر، لما انتهى إبراهيم عليه السلام من محاورة نفسه، ووصل إلى الحقيقة، وظفر بها انتابه شعور نفسي نقلته هذه الآية التي ختمت الحوار: ﴿u v وَجَّهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[الأنعام: ٧٩].

إنه مشهد رائع باهر، يجسد **الطمأنينة** وقد استولت على القلب، **والثقة** قد استعلنت في النفس، بعدما وضحت لها العقيدة وضوحها الكامل، وانجلى عنها الغبش، نشهد هذه المشاعر كلها وقد ملأت كيان إبراهيم عليه السلام، وسكبت فيه الطمأنينة الواثقة، والسعادة الغامرة(١).

وفي النماذج السابقة التي تعرض لها البحث آنفا، شواهد أخرى من هذا التصوير المدهش الذي يشخص ويجسم المعاني المجردة، وتلك سمة تغلب على الأداء القرآني حتى لنجدها في حوارات البرهنة والجدل، لكنها في الحوار العاطفي أشد وضوحا، وأدق تصويرا(٢).

٤ ــ الحوار العاطفي في مشاهد حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، **يمهد للقضايا الصلب، ويُهيئ النفوس** لتقبل نتائج الحوار.

أ – وفي مشهد حوار نبي الله نوح عليه السلام ،أظهرت الدراسة، كيف استفتح حواره معهم في سورة هود باستهلال لطيف، حيث بدأ أولا بعرض قضيته الرئيسة عليهم بأسلوب وجداني مترفق، ووضح حقيقة دعوته التي يجهلون، وحقيقة مصدرها الذي لا يدركون: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾[هود: ٢٨].

بهذه الكلمة المتلطفة ﴿**يا قوم**﴾ بدأ الرد على خطابهم القاسي، واتهامهم له بالكذب.﴿**يا قوم**﴾ هكذا في سماحة ومودة بدأ حواره بندائهم ونسبتهم إليه، ونسبة

(٤) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن: ٢ / ١١٤١

(٢) ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن: ص ٢٣٩ . ط. دار الشروق. القاهرة. الثامنة. ١٤٠٣هـ

نفسه إليهم، وأنه عضو في وطنهم ومجتمعهم كما هم كذلك.ثم استكمل حواره بتوضيح حقيقة الرسالة التي جاء بها،وحقيقة الواقع الذي هم بسببه لا يستجيبون لها، واستمر في حواره معهم بأسلوب الحجة والعاطفة حتى أعلنوا فشلهم بتخليهم وتوقفهم عن استكمال الحوار.

ب ـــ و في حواره إبراهيم عليه السلام مع قومه حول عبادة الكواكب، تتجلى هذه السمة بشكل واضح. حيث ركّز الحوار على **التهيئة النفسية** للطرف الآخر، لكي يقبل النتيجة التي سيصل إليها الحوار، ذلك من خلال عدة مراحل:

ـ فبدأ **أولاً** ببيان مشاعره تجاه رب يغيب ﴿J K L ﴾[الأنعام: ٧٩]' فهذا تعريض لطيف بنقص معبوداتهم؛ لأن الحوار في بدايته، ونفوسهم لم تتهيأ لاستقبال كشف زيف آلهتهم، فلو فعل لنفروا ولم يصغوا إليه.

ـ بعد ذلك صرح بأن له رباً واحداً سيهديه، لينبه قومه إلى معرفته، والتطلع إلى من سيكون.

ـــ ثم عَرّض بأنَّهم ضالّون، فقوله ﴿X Y Z [\ ] ^ _ ` ﴾[الأنعام: ٧٧]،ولم يقل: لأكوننّ ضالاّ؛ ليشير إلى أنّ في النَّاس قومًا ضالّين، يعني قومه.

ـ وفي نهاية محاورته لقومه وبعد أن كشف لهم الحقيقة، وأنه وجد الإله الحق، الذي لا يغيب وتبيّن له انحراف قومه وضلالهم. .ناداهم بقوله: ﴿ o p q r s ﴾[الأنعام: ٧٨] مذكراً لهم بالرابطة الاجتماعية المتينة بينه وبينهم ﴿**يَا قَوْمِ**﴾ مستدراً إلفتهم بهذه الرابطة من جهة، ومنبهاً إياهم - ضمناً - بأن المرء عادة لا يغش قومه ولا يضلهم، ليزيدهم من ثقتهم به[١].

ـ وهكذا لما ترقى في الاستدلال، وتهيأت النفوس، صرّح بالبراءة منهم ومن شركهم؛ مما يؤكد مرة أخرى إحاطته الدقيقة بالمقام وآفاقه وظروفه، وتحريه لأهم معايير نفاذ الخطاب[٢].

ج - وندرك هذه السمة ـ أيضا ـ في شخصية إبراهيم عليه السلام في انطلاقة حواره مع قومه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[الأنبياء: ٥٢]. فقد تلطف في

(١) ينظر: د. عبد الحليم حفني: أسلوب المحاورةفي القرآن الكريم. ص٧٧

(٢) ينظر: د. محمدسالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة: ص١٢١

الإنكار عليهم في بداية محاورتهم فصاغه على صورة المستفهم العالم تلطفا بهم، وتمهيدا لتخطئتهم بعد أن يسمع جوابهم.

٥ ــ الحوار الوجداني في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يتسم **بالاتزان بين منطق العقل، ورغبة النفس.** وعدم الاكتفاء بأحدهما بديلاً عن الآخر.

أ ــ فمثلا في حوار نبي الله نوح عليه السلام، طلب منه قومه حتى يستجيبوا له، أن يطرد البسطاء من حوله الذين آمنوا به، ولكن رغم تشوفه ورغبته بإيمان السادة من قومه إلا أن رده جاء متزنا مع مبادئه التي جاء بها من عند ربه ﷻ؛ ليعدل ويقوّم واقع حياتهم :﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.[هود: ٣٠].

ب ــ ولننظر إلى إبراهيم عليه السلام وهو يُمنهج لنا أسلوب الاتزان في مخاطبة القلب والعقل معاً : ﴿O N M L K J I HG F E D C BA﴾[مريم: ٤٢]. ففي قوله : ﴿ يَأَبَتِ. .﴾ مخاطبة للقلب، وإثارة للعاطفة.

وفي قوله:﴿ K J I HG F E ؟﴾ . خطاب للعقل، وحض على التفكير.

ونلاحظ في سياق الآية أنّ الإجابة أوضح من أن يؤتى بالاستفهام من أجلها، ويمكن أن ترد هذه الحقيقة في سياق خبري، ولا يمكن لأبيه أن ينكرها، غير أن مجيء الاستفهام هنا تضمن معنى زائداً وهو الإنكار بأسلوب مترفق، والتنبيه على فعله المناقض للتصرف العاقل،. في موازنة رائعة بين عاطفته وقضيته.

ج - ومن المواقف العاطفية الحرجة التي تعرض لها الخليل عليه السلام إقدامه على ذبح ابنه إسماعيل، ونحن ندرك أن من أبرز صفات هذا النبي الكريم، صفة اللين والرحمة. . ومع ذلك عرض الأمر المزعج بقوة قلب، واطمئنان في النفس، واتزان في الشعور: ﴿Ø × Ö Õ Ô Ó Ò Ñ Ð Ï Î Í Ì Ë Ù ﴾[الصافات: ١٠٢].

إن القدرة على التحكم بين متطلبات النفس، ومقتضيات العقل، ملَكَة لا يحسنها كثير من المتحاورين الذين سرعان ما ينحرف بهم المسار إلى أحد الاتجاهين.

فالواقع ينطق بأن الذين أخفقوا ويخفقون في إقامة هذه الموازنة أكثر بكثير من الذين ينجحون.

٦ ــ تميز الجانب العاطفي في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، **بتنوع المشاعر، واختلاف العوامل** التي خاطبها في الإنسان؛ ليؤثر في كل طرف بما يناسب تكوينه، وظرفه المحيط به.

أ ــ فمن المشاعر التي أبرزها الحوار العاطفي :مشاعر **العطف، والنصح**، كما رأيناها - آنفا - في حواره نوح عليه السلام مع قومه ومع ابنه، وكذلك حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وابنه.

وحسب التأمل في حوارات بقية الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يجد القارئ غالبا أنها تُستفتح بلغة القرب والانتماء من خلال جسر هذا النداء الوجداني﴿ **يَا قَوْمِ** ﴾، وما يحمله من دلالات الاندماج القومي والقبلي، ودلالات الحب والعطف.

ب ــ ومن العوامل النفسية التي ظهرت في الحوار العاطفي، **هز الثقة، وتسريب الشك** إلى شخصية الطرف الآخر:

ـــ ففي حوار نوح عليه السلام فيما سبق عرضه قبل قليل، يلاحظ القارئ أنه واجههم باستفهام تقريري﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾هود: ٢٨].فزعزع ثقتهم بموقفهم الرافض لما جاءهم به ،فلم يستطيعوا المواجهة، ثم زادهم شكا وارتيابا في حقيقة دينهم وتمسكهم بآلهتهم، من خلال تكرار أسلوب الاستفهام في ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾.لقد كانت هذه البداية المشبعة بالمؤثرات الوجدانية والعقلية أثرها في نتيجة الحوار التي انتهت بهرب القوم من مواجهة حجاج نوح عليه السلام إلى مطالبته بإنزال العذاب!.

وفي خطاب إبراهيم عليه السلام ومحاجته لقومه، تظهر مجموعة من الاستفهامات المحرجة كما في قوله تعالى: ﴿p o n m l k i h g f e d c b a ` _ ~ } | { z y x w v u t s r q ﴾[الشعراء: ٧٠ ــ ٧٣]. (١).

وفي سورة الصافات: ﴿W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X ﴾[الصافات: ٨٥ ـــ٨٧].

ويظهر من سياق الحوارات أن هذه التساؤلات قد أربكتهم إرباكاً عنيفاً، وخلخلت معتقداتهم الراسخة. .

(١) الشعراء: ٧٠ ــ ٧٣

وننتقل إلى لوحة أخرى. . حيث ينطلق إبراهيم عليه السلام في مستهل حواره مع أبيه ليصعد به إلى أول درجة تكفل له رضوخ الطرف المقابل، وهذه الدرجة هي **إثارة الشك** حول القضية التي يقوم عليها الحوار، متوسلا بهذا الاستفهام الفاضح: ﴿A B C D E F G H I J K L M N O﴾[مريم: ٤٢]. فالاستفهام هنا ينطوي على تعجب من سوء اختيار أبيه، وتوبيخ له، علّه يرجع إلى نفسه، ويعدل وضعه.

لقد كان هذا الموجه الاستفهامي كفيلاً بإحداث النقلة وصحوة العقل؛ ذلك لأن الإجابة عليه تنقل الطرف الآخر إلى ملاقاة الحقيقة وجهاً لوجه.

ج ــ ومن الأساليب النفسية المؤثرة التي لجأ إليها الأنبياء ــ أحيانا ــ أسلوب **التهكم الساخر، كوسيلة إيقاظ** تناسب الوضع المتردي الذي وصل إليه أقوامهم في نهاية حوارتهم معهم. .

فمثلا على الرغم من أن منظر الأصنام بعد تحطيمها ينطق بسقوطها وتفاهة العقول التي تمجّدها إلا أن القوم تنادوا في هلع وفزع شديد: ﴿ D E F G H I ﴾[الأنبياء: ٦٢]. فهم ما يزالون يصرون على أنها آلهة وهي جذاذ مهشمة! . مما جعل إبراهيم عليه السلام يتهكم بهم ويسخر منهم، ويجيبهم إجابة تناسب هذا المستوى العقلي المنحط:﴿K L M N O P Q R S﴾ [الأنبياء: ٦٣].

فالتهكم واضح في هذا الجواب المضحك، لقد اتخذه الخليل وسيلة لإظهار زيف آلهتهم، وطريقة جديدة لإفحامهم وإسكاتهم.

إن هذا التلوين في الأساليب الحوارية حسب الحالة النفسية التي يمر بها المخاطَب، مطلب تلح عليه التداولية ضمن السياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب.(١)

د ــ ومن العوامل النفسية التي خاطبها إبراهيم عليه السلام في حواره، عامل **التنفير والتقبيح**. . فبعد ما أثار زوبعة الشك حول معبود أبيه، حاول أن يحدث شعور التنفير، فبين له أن حقيقة عبادته للأصنام هي عبادة الشيطان، فعبر عنها بعبادة الشيطان إفصاحًا عن

(١) ينظر: د. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص٥.و: حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي. ص١٢٦. ط. أفريقيا الشرق. المغرب. الدار البيضاء.

فسادها وضلالها، فإن نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مقررة في نفوس البشر، ولكن الذين يتبعونه لا يفطنون إلى حالهم ويتبعون وساوسه تحت ستار التمويه. . وإظهار اسم الشيطان في مقام الإضمار، إذ لم يقل: إنه كان للرحمن عصيًّا. . لزيادة التنفير من الشيطان، لأن في ذكر صريح اسمه تنبيهًا إلى النفرة منه، ولتكون الجملة موعظة قائمة بنفسها.(١).

٥ ــ ومن الأساليب النفسية المؤثرة التي وظفها الأنبياء توظيفا مكثفا في حوارهم العاطفي، إثارة **مشاعر الشفقة والخوف** من العواقب المنتظرة عند المخاطبين، مما يشعر بفاعلية هذا المسلك في حوارات ذوي الأفكار الضالة.

وقد ترددت عبارة﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ ﴾(٩) مرات في حوارات منهجية في القرآن الكريم، فمنها قول نوح عليه السلام في سورة الأعراف: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾.[الأعراف: ٥٩].

وفي سورة هود يكرر نوح عليه السلام خوفه على قومه :﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦ ﴾.[هود: ٢٥ــ ٢٦].

ويلاحظ اختيار التعبير المباشر" **إني**" ولم يقل قال: إني؛ لأن التعبير القرآني يحيي المشهد فكأنما هو واقعة حاضرة لا حكاية ماضية، وكأنما هو يقول لهم الآن ونحن نشهد ونسمع(٢).

ويتكرر مثل هذا النداء، وذلك الأسلوب الموقظ في مواضع أخرى كما في قول نبي الله شعيب: ﴿۞وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ ٨٤﴾[هود: ٨٤].

وفي سورة الشعراء يكشف السياق عن حوار نبي الله هود لقومه ،وكيف أنه حاول في نهاية حواره إيقاظهم وإثارة مشاعرهم تجاه قضية الحياة الأخرى ما فيها من جنة ونار، وما فيها من هول عظيم لا يدركون شأنه الآن: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ

(١) ينظر: الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: ١١٧/١٦

(٢) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن: ٤/ ١٨٧١

يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾﴾. [الشعراء: ١٣٥ــــ ١٣٦].

وكما تكرر خوف نوح عليه السلام وحدبه على قومه،كذلك يتكرر في حوار نبي الله هود عليه السلام :﴿۞وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.[الأحقاف: ٢١ــــ ٢٢].

إن هذا الترداد لإثارة مشاعر الشفقة والخوف من عذاب الله العظيم أثناء حوارات الأنبياء، لا يدل على أهمية توظيف الحوار التأثيري فحسب، وإنما يؤكد أهمية مسلك التفعيل والتركيز على مشاعر الشفقة من وصول المخاطب إلى ما يعرضه لسخط الرب ﷻ،والوقوع في وعيده وأليم عذابه.

ويظهر أن هذا المسلك الوجداني له مكانته الكبرى في الخطاب القرآني كله، فقد كان أسلوبا يخاطب به سيد المرسلين ﷺ عتاة كفار مكة في أكثر من مناسبة كما في مطلع سورة هود،حيث يقول الله تعالى:﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾.[هود: ١ــــ ٥].فهذا العرض المغري في الخطاب، والوعد بتحقق الحياة الحسنة الكريمة، وحصول الفضل العظيم والخير والبركة إذا هم عبدوا الله وحده وكفروا بما سواه،﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾. فأسلوب التخويف من عذاب الله يوم القيامة، تم استدعاؤه بعد عرض ما يحبون ويرغبون.

ــ وهناك صورة أخرى رائعة من صور استثمار عامل الخوف أثناء الحوار، تلك هي مشهد سيدنا الخليل عليه السلام عندما أظهر لأبيه أثناء محاورته، ما ينتابه من نازع الخوف عليه من استحقاقه عذاب الله وعقابه الشديد:﴿ p o n m l k j q ﴾ [مريم:٤٥].عبّر عن خطورة هذا العذاب بوصف" **الرحمن**"؛ للإشارة إلى أن حلول العذاب ممن شأنُه أن يَرحم، إنما يكون لفظاعة جرم الفاعل، إلى حد أن يحرم رحمة من وسعت رحمته كل شيء.﴿ r s t ﴾[مريم:٤٥].ثم عاد مرة

أخرى إلى عامل التفضيع بذكر لفظ" الشيطان"، وكنى بالولاية تعبيرا عن توحد النتيجة والمصير.

ونلاحظ في أثناء المشهد الحواري السابق، **تلوّن العوامل النفسية أثناء الحوار**. . فبدأ أولاً بزرع الشك، ثم أعقبه بث مشاعر التنفير، وأخيرا انتقل إلى التحذير والتخويف من عواقب الكفر والعناد. . .

كما نرى - أيضا - في المشهد السابق تدرجا في الانتقال بين المشاعر وطريقة إثارتها في نفس الآخر حسب مناسبتها لوضعية المخاطب ومكانته.

ومن الواضح فيما سبق أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **لا تعنيهم المشاعر لذاتها**، وإنما يأتون بها لتؤثر في المخاطبين، فحيث كانت من مقاود الناس، فإنهم يحرصون على أن يمسكوا كل المقاود، ويخاطبوا كل المؤثرات التي تواجه المخاطبين وتؤثر في سلوكهم واتجاههم، وغرائزهم ومشاعرهم.

ولا غرو فإن ذلك كله يعكس ما تتمتع به شخصيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من القدرة على **تلوين الأساليب الإقناعية، والمؤثرات الوجدانية** حسب طبيعة المخاطب ونشأته وظرفه ومنزلته.

٧ــ التوظيف العاطفي في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كشف عن عمق **مشاعر الثقة واليقين في مواقف الرسل** صلوات الله وسلامه عليهم، فهم ــ رغم خطابهم المشبع بالحب واللطف والشفقة ــ يتلقون الإعراض والتكذيب، والسخرية والاستهزاء، والتهديد والإيذاء، يتلقون ذلك كله بالصبر والثقة واليقين بما معهم من الحق، وفي نصر الله الذي لا شك آت، ووعده بالتدمير على المكذبين، وبالنجاة للمؤمنين.

٨ ــ الحوار الوجداني في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يحرك **عاطفة المتلقي (**القارئ أو السامع**) ويثير انفعالاته ومشاعره**، مثل انفعال الطرافة والسخرية، والخوف والرهبة، والرحمة والشفقة.

- فالسامع - مثلا - يشعر **بالطرافة والمرح** وهو يتابع تدرج إبراهيم عليه السلام بقومه حين استطاع أن يغرر بهم، ويزعم أنه يعبد الكواكب مثلهم، وكلما رأى كوكبا منها يقول لهم: ﴿ E D ﴾[الأنعام:٧٦].

ـ بينما يشعر **بالإعجاب والاستطراف** معا حين يرى هذا الفتى الوحيد يجرؤ على تحطيم الآلهة المقدسة عند قومه، ثم يضع الفأس على عنق كبير الآلهة.

ـ ويبلغ **الخوف والقلق** في نفس المتلقي مبلغا شديدا عندما يعرض الحوار مشهد إبراهيم ﷺ وقد جيء به مكبلاً، ليُلقى في النار الهائلة التي أوقدها قومه.

ـ ثم يثور انفعال **التعجب والدهش**، حين خرج إبراهيم ﷺ منها حيّاً معافى(١).

ـ وأما في محاورة إبراهيم ﷺ مع ابنه الذبيح، فإن المتلقي تنتابه مشاعر بالغة من **الرحمة والشفقة**، حين يرى أن الأب يضجع ابنه ليذبحه بسكين، ومع ذلك ابنه مستسلم راض يقول له:﴿ Ü Ý Þ ß á â ã ä å æ ﴾[الصافات: ١٠٢].

وهكذا تفصح القراءة التداولية في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، عن مساحة واسعة في مشاهد الحوار العاطفي تتلون فيها الإثارات الوجدانية، والانفعالات النفسية حسب الموقف الكلامي الذي يراعي وضعية المخاطب وظرفه المحيط به.

٩ـــــ برزت في ثنايا حوارات الرسل عليهم الصلاة والسلام، **المشاعر الحميمية** الصادقة التي تستبطن **حب الآخر**، والعطف عليه، والنصح له.

أ – تجسدت **مشاعر الحب** في مشاهد الحوار العاطفي في أكثر من صورة لكن الكلمة الافتتاحية ﴿ **يَا قَوْمِ** ﴾،كان لها الظهور الأكثر،فكل رسول يقول لقومه قولة واحدة: «يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ» . ويتقدم لهم بالحقيقة التي استحفظه عليها ربه، تقدم الناصح المخلص، المشفق على قومه مما يراه من العاقبة التي تتربص بهم وهم عنها غافلون. ولكنهم لا يقدرون نصح رسولهم لهم ولا يتدبرون عاقبة أمرهم، ولا يستشعرون عمق الحب المخلص الذي يحمله قلب الرسول، وعمق التجرد من كل مصلحة، وعمق الإحساس بضخامة التبعة.

ويلاحظ أنه بعد هذا النداء الوجداني﴿ **يَا قَوْمِ** ﴾، وما يحمله من دلالات الانتماء الوجودي القبلي، ودلالات العطف ووحدة المصير، يقابل النبي ّبالاتهام والاستهزاء والتخوين من قبل الأطراف الأخرى، ومع ذلك يواصل الأنبياء توظيف لغة الحب والنصح، وتكريس دلالة الصدق في البحث عن منافذ النجاة التي تخفى على أولئك المخاطبين، بينما يدركها الرسل عليهم الصلاة والسلام، ويدركون عواقب التأخر عن الوصول إليها.

(١) ينظر: د. عبد الحليم حفني: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم. ص٥٣ــ٥٤

وفي ذلك رسالة للأجيال من بعدهم، ألا يتوقفوا عن الحوار بالحب وإظهار النصح، مهما كان استقبال الآخر ضعيف التجاوب، أو كان الرد غليظا قاسيا.

والخطاب القرآني يُعزّز لغة الحب والنصح التي تتصدر حوارات الرسل، ففي أكثر من مشهد حواري، يسبقه وصف الرسول بلفظ "الأخوة"،وما تستبطنه من دلالات الحب والقرب، والنصح والوفاء، كما في قوله ﷻ:﴿۞وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٢١ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾.[الأحقاف: ٢١ــ ٢٢][1].

وأخو عاد هو هود عليه السلام يذكره القرآن هنا بصفته. صفة الأخوة لقومه؛ ليصور صلة الود والحب بينه وبينهم، ويذكرهم بآصرة القربى العامة بين أفراد القبيلة الواحدة، وتبرز هذه الآصرة شأنها أن تبني الثقة والتعاطف والتناصح بين الأخ وإخوته، فهي صلة ومحبة كفيلة بأن تعطفهم إلى دعوته، وتحسن ظنهم بها وبه.

ب - ولعل من أوضح الأمثلة التي صورت مشاعر الحب، ما انطوى عليه حوار الابن الرزين إبراهيم عليه السلام، مع الأب العنيد، فقد سبق أن وقفت الدراسة عند تلك اللغة الحوارية الفريدة التي جاءت تمزج بين عرض عقلي مقنع، وأسلوب عاطفي مؤثر، لكن أشير هنا إلى أجواء الحب الصادق، والنصح التام. . التي كانت تظلل ذلك المشهد الحواري، وإلا فماذا يعني تكرار لفظ الأبوة، وعنوان الحنان: ﴿ يا أبتِ﴾ إلا تأكيدا من إبراهيم عليه السلام على محبته لأبيه، وترفقه به، وإشفاقه عليه. .[2]

ولتتأمل قول الخليل عليه السلام: ﴿ s r q p o n m l k j t ﴾[مريم:٤٥].

إنه تعبير لطيف يوحي بأنه يخاف على أبيه من مس العذاب، ونستشف من كلمة ﴿يَمَسَّ﴾ اللطافة والمرور الخفيف، فإذا كان يخاف عليه من ذلك، فهو من غيره أخوف بلا شك.

إن مثل هذا الأسلوب العاطفي يعمل عمله في قلب الطرف الآخر، إذ يدعوه إلى التفكير في كون هذا المحاور بهذه الصفة والقدر من الحب والنصح، وتلك الحساسية

---

(1) جاء وصف الأنبياء بالأخوة قبيل بدء مشهد الحوار في سورة الشعراء الآيات:١٠٦و١٢٤و١٤٢،و١٦٢.

(٢) ينظر: الزمخشري: تفسير الكشاف: ٣ /٢٢

الإيجابية نحوه، إذن هو ناصح صادق، فيحمله ذلك على تصديقه، والتفكير في قبول ما جاء به في حواره.

ج – وصورة أخرى في نهاية محاورته قومه حول عبادة الكواكب، اختتمها إبراهيم عليه السلام، بهذا الأسلوب العاطفي المشفق المثير: ﴿r q p o n s﴾[الأنعام:٧٨].

فأسلوب النداء" **يَا قَوْمِ** " ــ كما سبق بيانه ــ ينطوي على معنى الحرص والإشفاق والاهتمام بشأنهم ونصحهم، فهم قومه وأهله، وما أشد حرص الإنسان على قومه.

ولا ريب أن المحاور الذي يحمل هم الآخرين ،ويستهدف هدايتهم ، قمينٌ بأن يُدثِّر حواراته بمشاعر الحب والعطف والحنان ؛لتكون عوناً له على إيصال رسالته ،وبثّ قيمه وأفكاره.فهي مودة لا تنحني معها الرؤوس، ولا تتزعزع فيها المبادئ.

الخاتمة

في ختام هذه الورقة حول توظيف النمط العاطفي، وما تكشّفت عنه القراءة التداولية في حوارات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يشير الدارس إلى أن عناية الخطاب القرآني بهذا النمط التأثيري الوجداني، تتوازى مع عنايته بالنمط الحجاجي العقلي؛ ذلك لأنه خطاب تُغييري متكامل الأركان، لا تقتصر وظيفته على الإبلاغ والإقناع، وإنما يتوصل إليهما من خلال استدرار العاطفة، وإثارة الوجدان، فقد كشفت مشاهد الحوار في قصص الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، عن **دقة التوظيف، وحسن الاستثمار** للجانب العاطفي في **خدمة الأدلة العقلية** التي تتبني عليها قضية الحوار.

ومما يلفت النظر في هذا المسار، أن حوارات سيدنا موسى عليه السلام تتضاءل فيها مساحة توظيف الحوار العاطفي، بينما تتسع وبشكل ملفت في حوارات سيدنا إبراهيم عليه السلام،ولعل هذا يعود إلى طبيعة الخطاب ووضع المخاطبين، فموسى عليه السلام واجه طاغية بلغ نهاية سقف العلو والتجبر والطغيان حتى ادعى أنه رب العالمين، وفرض هذا الأمر على شعبه، وناصره حاشيته ووزراؤه وجنوده، فقد كانت أجواء الخطاب تستدعي لونا معينا يتناسب مع تلك البيئة الموبوءة بالتسلط والقهر، وأولئك المخاطبين المتجبرين المتغطرسين، بينما كان سيدنا إبراهيم عليه السلام،يعايش أوضاعا مختلفة تماما، فقدكانت تتم تهيئة منزلته ليكون إماما للناس كلهم، وفي مقدمتهم الأمة الخاتمة، إماما وقدوة في الخير والدعوة والإصلاح والهداية والحوار.

إن ذلك التلون في الخطاب التداولي الحواري، يعكس ما تتمتع به شخصيات الرسل عليهم الصلاة والسلام، من الوعي بمقامات المخاطبين ومستوياتهم، وظروفهم النفسية، وطبقاتهم الاجتماعية والسياسية، كما يكشف القدرة الحوارية على تقديم الأدلة المقنعة للعقل والقلب معاً، بأسلوب أخّاذ، وعبارات جذابة. .وإيقاع يتناسب مع كل موضوع. .ومع كل ذي روح ونَفَس.

وأخيرا يأمل و**يلتمس** الدارس من الجهات والمراكز المعنية بقضايا تكريس الحوار، وتطبيعه في مجتمعاتنا العربية، كأسلوب حياة، ومنهج تغيير، **مزيدا من العناية والتركيز على توظيف الجوانب العاطفية في حوارات الفرق والشخصيات المنحرفة فكريا،** والاستفادة من تداولية المنهج القرآني في هذا المجال، ومراعاة أوضاع

المستهدفين في هذا العصر الذي كثرت فيه وتنوعت ميادين وأساليب غسيل الأدمغة الموجهة إلى الشعوب لاسيما قلبها النابض، ومستقبلها الواعد: فئة الشباب ذكورا وإناثا.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١- بن عيسى باطاهر: أساليب الإقناع في القرآن الكريم ،ط. دار الضياء. الأردن. عمان. الأولى. ١٤٢٧هـ.

٢- البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. عبد الرزاق غالب المهدي. ط. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم . ت. سامي بن محمد سلامة. ط. دار طيبة للنشر والتوزيع. الرياض. الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

٤- التهامي نقرة: سيكولوجية القصة في القرآن. ط. الشركة التونسية للتوزيع. ١٩٧١م.

٥- جورج يول، التداولية ،ترجمة قصي العتابي، ط، دار الأمان، المغرب ،الرباط،الأولى،٢٠١٠م،

٦- حسان الباهي: الحوار ومنهجية التفكير النقدي .ط. أفريقيا الشرق. المغرب. الدار البيضاء.

٧- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . ت. عبد الرزاق المهدي. ط. دار إحياء التراث. الأولى ١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م.

٨- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط. دار الشروق. القاهرة. الثامنة. ١٤٠٣هـ

٩- سيد قطب: في ظلال القرآن ط. دار الشروق. الخامسة والعشرون. القاهرة. ١٤١٧ هـ ـ١٩٩٠م.

١٠- عبد الحليم حفني: أسلوب المحاورة في القرآن الكريم. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الثانية.

١١- عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها. "دار الفكر. بيروت. الثانية. ١٤٠٣هـ.

١٢- عبد السلام عشير. عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج. ط. أفريقيا الشرق. المغرب. الدار البيضاء. ٢٠٠٦م.

١٣- عبدالسلام المسدي :مباحث تأسيسية في اللسانيات : ط. الكتاب الجديد .الأولى . بيروت. ٢٠١٠م.

١٤- عبد الواسع الحميري. ما الخطاب وكيف نحلله . ط. مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. الأولى. بيروت. ١٤٣٠ هـ٢٠٠٩م.

١٥- عدنان زرزور. علوم القرآن، ط. المكتب الإسلامي. بيروت. الأولى. ١٤٠١هـ.

١٦- صابر الحباشة : الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني.ط. الدار المتوسطية للنشر .تونس.١٤٣١هـ.

١٧- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ط. دار سحنون. تونس. بدون. ١٩٩٧م.

١٨- فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي. ترجمة: عبد القادر قنيني. ص ط. أفريقيا الشرق. المغرب.

١٩- محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن: قواعده. أساليبه. معطياته. ط. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع. بيروت. الثالثة. ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م.

٢٠- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط. دار الكتاب الجديد. بيروت. الأولى ــ ٢٠٠٨م.

٢١- مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب ص٥. ط. دار الطليعة. بيروت. الأولى. ٢٠٠٥م

٢٢- يوسف حطيني: ملامح السرد القرآني دراسة في أنماط القص والتلقي والشخصيات والبيئة القصصية . ط. منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠٩م .

ــ مجلات ــ مواقع:

٢٣- مجلة البحوث الأمنية .السعودية، عدد ٢٤ (٢٩)، (٢٠١٢ م).المفاهيم الأمنية في مناهج العلوم الشرعية بالمرحلة الثانوية في المملكة العربية السعودية. رشيد البكر.

٢٤- موقع: منتديات مكتبتنا العربية. رخرور أحمد. : التداولية ومنزلتها في النقد الحديث والمعاصر.